الأسس الابستيمولوجية لمناهج البحث عند العلماء العرب و المسلمين في الحضارة العربية الاسلامية

في العلوم الاجتماعية و الانسانية - المنهج العلمي الخلدوني (أنموذجا) -

the epistemological foundations of research methods among arab and muslim scholars in social and human sciences - al-khaldouni scientific method

د.خالدي مسعودة [1*]، د . مهدي عمر [2]

1 جامعة زيان عاشور الجلفة (الجزائر) مخبر إستراتيجيات الوقاية ومكافحة المخدرات في الجزائر.

2 جامعة زيان عاشور الجلفة (الجزائر)، مخبر إستراتيجيات الوقاية ومكافحة المخدرات في الجزائر.

تاريخ الاستلام: 24 أوت 2019 ؛ **تاريخ المراجعة :** 02 ديسمبر 2019 ؛ **تاريخ القبول :** 31 ديسمبر 2019

ملخص:

يقول الدكتور محمود حسن " لا علم بغير منهج ولا منهج بلا أسس علمية "

يعتمد المنهج العلمي على الاستقراء وعن طريق الاستقراء يستطيع العلماء والباحثون التوصل إلى وضع قوانين عامة، وبمعرفة قوانين العلم تخلص الانسان من آثار الوهم وتحرر من قيود الخرافة، وعلى الرغم من بساطة المنهج العلمي إلا أنه لم يتم التوصل إليه إلا بمشقة وبتراكم معرفي وخبرات إنسانية مرت خلالها بمراحل معرفية ،إلى أن جاء علماء المسلمين والمحدثين من مفكري أوروبا في القرن الثامن والتاسع عشر، وقد انتهت موجة النقد إلى اتخاذ المنهج العلمي القائم على الملاحظة والتجريب أداة لدراسة الحقائق الموضوعية ووسيلة لتحقيق المعارف العلمية .

ضمن هذا المجال سنركز في بحثنا على قطب من أقطاب المعرفة العلمية عند المسلمين وعند مفكري الغرب"، إنه العلامة إبن خلدون سنركز على قواعد المنهج الخلدوني التي كانت مرجعية لمختلف الفلسفات اللاحقة كفلسفة كونت الاجتماعية وفلسفة داروين النظرية وفلسفة بيكون النقدية

الكلمات المفتاحية: النقد التاريخي ؛ المنهج ؛ قواعد المنهج العلمي الخلدوني ؛ مصادر المنهج الخلدوني ؛ معالم المنهج الخلدوني.

Abstract:

Dr. Mahmoud Hassan says: "There is no science without a method or a method without scientific foundations"

The scientific method is based on extrapolation and through extrapolation scientists and researchers can reach the development of general laws, and knowing the laws of science to get rid of the effects of illusion and freed from the constraints of superstition, and despite the simplicity of the scientific method, but it was only hard With the accumulation of knowledge and human experiences, which passed through the stages of knowledge, until the Muslim scholars and modernists came from the thinkers of Europe in the eighteenth and nineteenth century, and the wave of criticism has ended to take the scientific method based on observation and experimentation as a tool to study objective facts and a means to achieve scientific knowledge .

Within this field we will focus in our intervention on a pole of scientific knowledge among Muslims and Western thinkers.

It is Ibn Khaldun's mark.

Keywords: Historical Criticism; Curriculum; Rules of the Khaldouni Scientific Curriculum; Khaldouni curriculum sources; Landmarks of the Khaldun Method; Landmarks of the Khaldun Method.

* - Corresponding author, e-mail: khaldi_socio@yahoo.fr

مقدمة:

لو فتحنا القاموس الفرنسي " لاروس" و توقفنا عند إسم إبن خلدون لقرأنا مايلي " مؤرخ عربي، ولد في تونس (1332-1406م) و خلف كتابا ضخما يتضمن مجموعة أخبار عامة مسبوقة بمعلومات تمهيدية (المقدمة) يعرض فيها فلسفته في التاريخ [1] هذا كل ما نجد.

لا جرم أن هذا القاموس لم يعطي هذا العالم حقه من الوصف و التعريف ، فكما قال فريرون Fréron حين يظهر في العالم عبقري حقيقي فإنه يمتاز بهذه العلامة " **جميع الأغبياء يثورون عليه** "[1]

فلقد كان إبن خلدون بحق "من أعظم شخصيات الدهر كله"[1] لقد كان عبقرية متميزة، و عالما موسوعيا متعدد المعارف و العلوم، ورائدا مجدد في كثير من العلوم و الفنون، فهو المؤسس الأول لعلم الاجتماع وأحد رواد فن الأتوبيوجرافيا (فن الترجمة الذاتية)، كما أنه أحد العلماء الراسخين في علم الحديث وأحد فقهاء المالكية المعدودين و مجدد في مجال الدراسات التربوية وعلم النفس التربوي و التعليمي، كما كانت له اسهامات متميزة في التجديد في أسلوب الكتابة العربية.

غير أن إسمه إرتبط كثيرا بالتاريخ و النقد التاريخي بعدما توصل إلى أن الحوادث التاريخية إنما تعلل بطبائع العمران وأحواله.

هذا التعليل يجمع حسب ابن خلدون بين أمرين:

1- **الأول**: تمحيص الأخبار
2- **الثاني**: تعليل الوقائع

و هذا ما أحدث إنقلابا في عالم المعرفة في عصره ، تجسد هذا الانقلاب في منهجه أو نسقه المعرفي المتكامل الذي و ضعه، بعدما انتقد من سبقه من المؤرخين ، فوضع له قواعد علمية دقيقة، و صبغه بمعالم واضحة معتمدا في ذلك على مصادر محددة.

من خلال هذا تتمحور اشكالية بحثنا في إظهار السمات العلمية في الفكر الخلدوني في دراسته لعلم التاريخ لذلك سنركز على المحاور التالية:

1- لماذا اهتم ابن خلدون بالتاريخ و بالنقد التاريخي
2- قواعد المنهج العلمي الخلدوني
3- مصادر المنهج الخلدوني
4- معالم المنهج الخلدوني (النزعة العقلية، المنطق)
5- نقد المؤرخين لنظرية ابن خلدون في تفسير التاريخ

1.1- لماذا الإهتمام بعلم التاريخ؟ ولماذا النقد التاريخي؟ :

منذ ظهور تدوين التاريخ عند اليونان، بدأ الاهتمام بتفسير التاريخ، ثم ما لبث أن ازداد الاهتمام به مع الزمن، لغايات متعددة، منها :

فهم ما حدث، وإدخاله ضمن حقل المعقول. وفهم الحاضر، والاستشراف للمستقبل. واستخلاص الدروس والعبر، بربط الحدث بسببه. وتجنب حدوث ما لا يراد بإزالة سببه، وتيسير حدوث ما يراد بتوفير أسبابه.

ومنذ ذلك الوقت أخذ تفسير التاريخ ومعرفة أسبابه يتطور مع الزمن، ولكن من الملاحظ أنه لا في اليونان، ولا في روما، ولا حتى في بيزنطة، أو بالأحرى في أوروبا الغربية القروسطية، لم يدخل التاريخ في حيز النشاط الثقافي أكثر من دخوله في الثقافة العربية الإسلامية.

فالتاريخ في العالم الإسلامي هو علم السنة، لكنه لم يبقَ محصوراً في هذه المهمة الدينية، بل اتخذ مفاهيم جديدة. وابن خلدون يقول عنه: "فتنة التجمعات الأدبية".

أما في العالم الإسلامي القروسطي فهو يعتبر مدرسة الحياة السياسية والإدارية والعسكرية.[2]

لقد وصل الرقي بتفسير التاريخ لدى العرب والمسلمين بالسعي إلى اكتشاف قانون أو قاعدة عامة، ناظمة للتطور التاريخي، تندمج فيها منظومة من المسببات الجغرافية والسياسية والسيكولوجية، تسير وفقاً لها عملية تطور التاريخ، وخير مثال على ذلك شيخ المؤرخين العرب ابن خلدون.

لكن قبل الحديث عن نظرية هذا المؤرخ العظيم، وتفسيره للتاريخ, لا بد من الإشارة إلى أمر هام جدا، وهو أن التفسير التاريخي غير التعريف التاريخي، فالتعريف هو ماهية التاريخ، أما التفسير، فهو العوامل المحركة لهذا التاريخ.

وقد ظهرت مدارس واتجاهات مختلفة حول تفسير التاريخ، وبيان الدوافع التي تحرك الأمواج التاريخية الكبرى **فالماديون مثلا** يرون أن المادة والاقتصاد هما المحركان الرئيسان للتاريخ، وأن كبرى الأحداث التي غمرت الكون نشأت بسبب الصراع على المادة. ويتخذون من حرب طروادة، ومن

الصراع القديم بين الفرس واليونان مثالاً. ومن أبرز من تبنى هذا الاتجاه الفكر الماركسي [2]

أ- النقد التاريخي لإبن خلدون:

ينتقد إبن خلدون بشدة جمهرة المؤرخين الذين سبقوه قبل أن يعرض لنا منهجه، و يذكر لنا مقومات " العلم المستنبط النشأة "[1] ، و لكن نقده ليس بالنقد السلبي الذي يكون مرادفا للذم و الثلب، فموقف إبن خلدون تجاه ما كان يقوم به أسلافه موقف يستمد قوته و جذوره من اهتمامه بمعرفة الحقيقة فما كان يسعى وراء الشهرة و لكن همه الوحيد كان يتمثل في التصحيح و التنقيح، و هكذا يكون قد أحدث انقطاعا جذريا تجاه تقليد الماضي و الحاضر.

فموقفه إذن موقف ذو أهمية كبرى و هذا ما يمكن لنا أن نسميه **مبدأ رفض التبعية الثقافية**

و هكذا نرى أن إبن خلدون قد طعن قبل باكون Bacan و ديكارت Descartes بكثير في صلاحية صيغة " قال الأستاذ " فهو يؤكد بقوة أن أرسطو و المسعودي لم يكونا وديعي المعرفة فليس هناك من هو مضطر إلى الثقة بهما مادامت مزاعم كل منهما تبدو غير صحيحة عند التحليل و يقول إبن خلدون ..." و منها توهم الصدق و هو كثير، و إنما يجيئ في الأكثر من جهة الثقة بالناقلين "[1]

ب- علم التاريخ:

موضوع التاريخ عند إبن خلدون واسع جدا حيث أنه لا يحصره في أخبار الدول، الملك والملوك، الوقائع، الحروب... وإنما يتسع لكل ما يطرأ على الحياة الاجتماعية من تغير في مؤسساتها وأوضاعها، كالتغيرات الاقتصادية و الثقافية وغيرها. و كأن المقصود من هذا التاريخ عنده، تاريخ الحضارة لا التاريخ السياسي وحده، فجعل بذلك موضوع التاريخ موضوعا شاملا يتعدى حدود التاريخ المحض ليطول مسائل الفلسفة الاجتماعية ويحيط بها، أو مسائل علم الاجتماع العام.

يقول إبن خلدون التاريخ " خبر عن الاجتماع الانساني الذي هو عمران العالم وما يعرض لطبيعة ذلك العمران من الأحوال ، مثل التوحش، التأنس، العصبيات، وأصناف التغلبات للبشر بعضهم على بعض ،

وما ينشأ عن ذلك من الملك والدول ومراتبها وما ينتحله البشر بأعمالهم ومساعيهم من الكسب والمعاش والعلوم والمصانع وسائر ما يحدث في ذلك العمران بطبيعته من أحوال"[3].

وإذا كان التاريخ من الفنون التي يشغف بها الخواص والعوام إلا أن الفرق في طبيعة هذا الشغف، حيث أن مفهوم التاريخ عند العوام يعني ظواهر الأخبار، أما عند الخواص فهو ضرورة إدراك بواطن الأخبار، يقول إبن خلدون "أن فن

التاريخ من الفنون التي تتداولها الأمم والأجيال، وتشد إليه الركائب والرحال، وتسمو إلى معرفته السوقة والأغفال، وتتنافس فيه الملوك والأقيال ويتساوى في فهمه العلماء والجهال، إذ هو في ظاهره لا يزيد على إخبار عن الأيام والدول والسوابق من القرون الأولى، تنمق فيها الأقوال، وتضرب فيها الأمثال...وفي باطنه نظر وتحقيق وتعليل للكائنات ومبادئها دقيق، وعلم بكيفيات الوقائع وأسبابها عميق ، فهو لذلك أصيل في الحكمة وعريق وجدير بأن يعد في علومها وخليق".

نفهم من هذا أن التاريخ قبل إبن خلدون كان جامعا لأخبار وحوادث الزمان كيف كانت وصارت عليه أحوال الأنام حيث اهتم المؤرخون بظاهره وأغفلوا باطنه، ففهموه على أنه أخبار تروى لتطرف بها الأندية وقصص يتداولها الناس دون النظر فيها وتفسيرها فجاء منهجهم روائيا لا تحليليا، وتأريخا لحياة الملوك لا دراسة لأحوال العمران .

إن الاعتماد على التخيل دون التحقيق والذاتية دون الموضوعية والتشيع لفريق دون آخر والأخذ بآراء المرتجلة والقبلية دون تسليط النقد عليها وعدم رد الوقائع التاريخية إلى مصادرها وعدم التحري في البحث للوصول إلى الحقيقة من خلال المنطق والعقل والاستدلال السليم والشك في صحة ما يرد من أخبار، هذا كله ما اتسم به المنهج التاريخي قبل ابن خلدون إذا كان الغرض الأسمى من علم التاريخ، إذن هو معرفة بواطن الأمور، كان من الواجب على المؤرخ العمل على اجتناب المغالط وأن يجمع في منهجه بين تمحيص الأخبار وتعليل الوقائع.[3] .

ج- مغالط المؤرخين:

نسمي نقد ابن خلدون للمؤرخين نقد الأوهام لأننا وجدناه في نقده لا يقتصر على الأخطاء أو الهفوات التي وقع بها هذا المؤرخ أو ذاك، بل ينقد أوهام العقل وأوهام النفس الإنسانية التي هي من حيث طبيعتها البشرية الناقصة دائماً ما تكون عرضة للأوهام والخرافات والأخطاء بحكم الطبيعة لا بسبب القصور المنهجي فحسب، فالأوهام جزء من كينونة الإنسان، بل أن الحياة الإنسانية مستحيلة من دون الأوهام، فالناس يعيشون على الأوهام كما يعيشون على الماء والهواء.

ويحدد ابن خلدون في نقده لأوهام المؤرخين أسباب هذه الأوهام فيعدها طبيعة متأصلة في النفس البشرية لا في أذهان المؤرخين فقط، إذ يرى أن الناس محكومون بعاداتهم ومالوفاتهم وبشروط حياتهم في بيئتهم الضيقة المحدودة ومن ثم فإن تصوراتهم لا تخرج عن نطاق مألوفهم وعوائدهم . وفي ذلك كتب ابن خلدون " والقياس والمحاكاة للإنسان طبيعة معروفة ومن الغلط غير مأمونة تخرجه مع الذهول والغفلة عن قصده وتعوج به عن مرامه فربما يسمع السامع كثيراً من أخبار الماضيين ولا يتفطن لما وقع من تغير الأحوال وانقلابها فيجريها لأول وهلة على ما عرف ويقيسها بما شهد وقد يكون الاختلاف بينهما كثيرا فيقع في مهواة من الغلط ويصعب عليهم تصور ما ليس مألوفاً لديهم إلا بالقياس على المألوف ".[4]

لقد أدرك ابن خلدون أن الإنسان من حيث هو مدني بالطبع رهين المحبسين:

1- محبس طبيعته المتناقضة المزدوجة الجسدية والروحية، الغريزية والعقلية، الحيوانية والبشرية، التي منها أنه يحب ويكره، ويفرح ويحزن ويهدأ ويغضب ويجوع ويشبع ويقاتل ويسالم ويأمن ويفكر ويخضع ويتمرد وينام ويصحو ويعمل ويكسل ويعادي ويصالح ويجشع ويقنع ويخون ويوفي ...الخ،

2- ومحبس أحواله الاجتماعية السياسية الاقتصادية الأخلاقية التاريخية التي تشرط وجوده وتقيده بقيودها الضرورية الأسرية العصبية المعيشية المذهبية ..الخ، التي لا يستطيع الفكاك منها.

في ضوء هذا الأفق النقدي العقلاني الرحب ينبغي لنا النظر إلى نقد ابن خلدون لأوهام المؤرخين. إذ مهد في نقده للأخطاء بنقد منهجي للمعرفة الإنسانية برمتها من خلال فحصه لقيمة أخلاقية متأصلة في الجبلة البشرية وهي " الكذب " بقوله إن الكذب متطرقاً للخبر بطبيعته وله أسباب منها:

أ- **التعصب للآراء والمذاهب** فان النفس إذا كانت على حال الاعتدال في قبول الخبر أعطته حصته من تمحيص النظر حتى يتبين صدقه من كذبه وإذا خامرها تشيع لرأي أو نحله قبلت ما يوافقه من الأخبار لأول وهلة وكان ذلك الميل

والتشيع غطاء على عين بصيرتها عن الانتقاد والتمحيص فتقع في قبول الكذب ونقله، وهذا هو ما نسميه اليوم بالتعمية الإيديولوجية.

واضح أن ابن خلدون هنا لا يبحث في الكذب من حيث هو قيمة أخلاقية مذمومة، بل يفحص شروط إنتاج الكذب وأسبابه اللا شعورية، إذ أن الناس يكذبون ليس بإرادتهم بل لا يعرفون بأنهم يكذبون وربما اعتقدوا بأنهم يقولون الحقيقة.

ب- **الثقة بالناقلين** وتوهم الصدق الذي يعود إلى شهرة المنقول عنهم وذيوع صيتهم بوصفهم مؤرخين كباراً ومفكرين تربعوا على مسرح التراث والتاريخ رموزاً موثوقة، وهذا ما يسميه بيكون وهم المسرح.

ج- **الجهل بتطبيق الأحوال على الوقائع** لأجل ما يداخلها من التلبيس والاختلاف فينقلها المخبر كما رآها وهي ما يصنع على غير الحق في نفسه.

د- **تقرب الناس إلى أصحاب السلطة والسلطان** بالثناء والمدح بهدف الكسب والجاه والحضوة، فالنفوس مولعة بحب الثناء والناس متطلعون إلى الدنيا وأسبابها من حياة أو ثروة وشهرة أو سلطة أو جاه.

هـ- **حب الناس للغرائب والخرافات** والمستحيلات من أخبار الجن والشياطين والكائنات الخرافية والأساطير التي تستهوي الناس لما فيها من سمة غرائبية

و- **قياس الماضي على الحاضر** قياساً مطلقاً، اعتقاداً منهم بأن الماضي لا يختلف عن الحاضر الذي يعيشونه.

ز- **الجهل بطبائع الأحوال في العمران**، فإن كل حادث من الحوادث ذاتاً كان أو فعلاً لابد له من طبيعة تخصه في ذاته وفيما يعرض له من أحوال، فإذا كان السامع عارفاً بطبائع الحوادث والأحوال في الوجود ومقتضياتها أعانه ذلك في تمحيص الخبر على تمييز الصدق من الكذب وهذا أبلغ في التمحيص من كل وجه يعرض هذه هي الأسباب التي رصدها ابن خلدون ليكشف فيها الأوهام التي تكتنف المعرفة عامة والمعرفة التاريخية تحديداً.

وكما هو واضح لم يبحث ابن خلدون في أخطاء أو هفوات وقع فيها المؤرخون عرضياً أو بسبب قصور مناهجهم أو تعمدوها بوعي منهم، بل جاء نقده جذرياً في شروط إنتاج المعرفة التاريخية وما يكتنفها من أوهام وأباطيل يصعب التحرر منها، بدون امتلاك منهج نقدي عقلاني قادرً على دراسة الظاهرة التاريخية في بنيتها الشمولية وصيرورتها المتغيرة وقواها المحركة وقوانينها الطبيعية الضرورية الثابتة والمتحولة، والجوهرية والعرضية. [4]

ومن هنا يجب القول: إن النقد عند ابن خلدون ليس لحظة عابرة في منهجه أو ضرورة إجرائية للشروع بعمله، بل هو النواة الجوهرية في منهجه، إنه البعد الثوري في مجمل النسق الفكري الخلدوني الذي يشتمل على ثلاث حركات متضايفة من حركات الوعي، **حركة الوعي بالذات وحركة الوعي بالمجتمع وحركة الوعي بالتاريخ**، وليس هناك من بديل عن المنهج النقدي التاريخي لمن أراد أن يفهم التاريخ. وقواه التي هي الثقافة والحضارة والمدنية.

2.1 - قواعد المنهج العلمي عند ابن خلدون:

يعد المنهج أصول التفكير المنطقية التي يسلكها الباحث في دراسته للظاهرة موضوع البحث لغرض الوصول إلى الحقيقة، و طريقة إبن خلدون في الدراسة هي نظر وتحقيق وتعليل للوقائع ومبادئها وعلم بكيفيات الوقائع وأسبابها

إذن المنهج التاريخي عند ابن خلدون يعتمد على دراسة القوانين التي يخضع لها المجتمع وعلى المقارنة بين أنواع المجتمعات و مختلف الشعوب. وقواعد المنهج عنده هي :

1- ملاحظة ظواهر الاجتماع لدى الشعوب التي أتيح له الاحتكاك بها والحياة بين أهلها.

2- تعقب هذه الظواهر في تاريخ الشعوب نفسها في العصور السابقة لعصره

3- تعقب أشباهها في تاريخ شعوب أخرى التي لم يتم الاحتكاك بها والحياة بين أهلها.

4- الموازنة بين هذه الظواهر جميعا.

5- التأمل في مختلف الظواهر للوقوف على طبائعها وعناصرها الذاتية وصفاتها العرضية واستخلاص قانون تخضع له هذه الظواهر في الفكر السياسي وفلسفة التاريخ وعلم الاجتماع.

3.1- مصادر المنهج الخلدوني:

يمكن اختزال أهم مصادر المعرفة الخلدونية كالآتي:

أ- القرآن الكريم :

خلافا لسابقيه سلك ابن خلدون مسلكا جديدا في تفسيره للمعرفة، فجاءت فلسفته المعرفية خلاصة ثقافته الفكرية الاسلامية و تجاربه و خبراته لا سيما ثقافته القرآنية [3]

فالقرآن الكريم بقصصه عن حياة المجتمعات الغابرة و اندثارها و دورتها التاريخية كان مصدر إلهام ابن خلدون فهو يحث الانسان على اصطناع منهج العلم القائم على النظر في الكون بالقياس والاستقراء، بقصد الوصول إلى المعرفة " فاعتبروا يا أولي الألباب "[5]، " أولم ينظروا في ملكوت السموات والأرض وما خلق الله من شيء"[6].

ب- الحديث الشريف:

أثرت طرق النظر في الأحاديث وتمييز صحيحها من موضوعها في المنهج الخلدوني حيث اشترط في المؤرخ الصدق، اعتماد اللفظ دون المعنى، تسمية المنقول عنه، أن يكون عارف بحال صاحب الترجمة علما ودينا وغيرهما، وأن لا يغلبه الهوى وأن يكون حسن التصور والعلم، وعالما بمدلولات الألفاظ.[3]

ج- علم الكلام والفلسفة:

لقد أخذ ابن خلدون بالمنهج العقلي الاسلامي، حيث أن القرآن الكريم يلجأ إلى البرهان العلمي ومنه أخذ النقليون والعقليون من الفلاسفة، وطبقوا في دراستهم مناهج الاستدلال العقلي والنقلي، وأخذوا بمناهج الاستقراء والاستنباط وقياس الغالب على الشاهد، فهم لم يختلفوا حول المناهج وإنما حول المقاصد، فالمتكلمون قصدوا الدفاع عن الاسلام بأدلتهم النقلية بينما حاول الفلاسفة دراسة الفلسفة وتجريدها عن الدين، أو البرهان على ما بين الشريعة والحكمة من الاتصال، والتوافق بين المعقول والمنقول.[3]

وفي مقدمة ابن خلدون يتضح أنه يصر على أن المهمة المطروحة في فحص الماضي لإستخلاص العبر والدروس.

د- تجارب ابن خلدون و خبراته:

تجارب ابن خلدون وخبراته السابقة تشكل أيضا إطارا مرجعيا لمنهجه فحياته وتقلبه في خدمة الحكام وتعرفه عن كثب إلى مجريات الأمور، وخفايا القصور وأسباب النزاعات بين القبائل، قد عمقت نظرته المعرفية وجعلته يعيد النظر في المناهج السابقة، ولا يسلم إلا بما يقبله الواقع والمنطق الحسي.

4.1- معالم المنهج عند ابن خلدون :

يمكن تقديم معالم المنهج الخلدوني كالآتي:

1- المنطق:

المنطق عند ابن خلدون " قوانين يعرف بها الصحيح من الفاسد في حدود المعرفة للماهيات والحجج المقيدة للتصديقات، وذلك أن الأصل في الادراك إنما هو المحسوسات بالحواس الخمس"[3]

وبمقتضى المنطق الحسي والتجريبي والعقلي والاستقراء وقوانينه المعروفة بقوانين العلية والاطراد في وقوع الحوادث أقام ابن خلدون منهجه.

2- النزعة العقلية:

اعتمد ابن خلدون في نظريته على العقل والتجربة حيث يقول: " العقل ميزان صحيح فأحكامه يقينية لا كذب فيها، غير أنك لا تطمع أن تزن به أمور التوحيد والآخرة وحقيقة النبوءة وحقائق الصفات الإلهية وكل ماوراء طوره، فإن ذلك طمع في محال"[3]

3- الاستقراء و الملاحظة:

نجدها بكثرة في مؤلفه حيث تعكسها كثرة التشبيهات المادية والأمثلة الحسية التي ضمنها في مقدمته، كما أجاد تصوير الواقع حيث أعطى تصويرا حقيقيا لا مزيفا ولا ملونا فتحدث عن البدو والحضر، الملك والعصبية، الدين والدولة.

4- أهمية التاريخ:

فهو ميدان التفسير والمعرفة وهو علم السير وحفظ المآثر وثقافة المجتمع . فعلم التاريخ كان أعمق العلوم عند العرب ففي نطاقه تشكلت معظم العلوم كالأدب ، اللغة، الفلك، المذاهب، الأحكام الشرعية... وبقدر ماكان علم التاريخ معنيا بتاريخ العمران، كان معنيا بعادات المجتمع وتقاليده، وكذا بالحكمة، لذا فإنه يعد تعبير عن عقلية المجتمع وتراثه الثقافي،لهذا كله أكد ابن خلدون عليه حتى يساهم في تكوين معايير الحق والباطل في الثقافة السائدة في عصره.[3]

يمكن القول أن أبرز معالم المنهج الخلدوني هي شدة التشوف ودقة الملاحظة، ونزعة البحث والتعميم وقدرة الاستقراء.

5.1- نقد المؤرخين لنظرية ابن خلدون في تفسير التاريخ:

يقول الكاتب **إيف لاكوست** في كتابه "العلامة ابن خلدون " إن التاريخ عند ابن خلدون هو تعاقب أدوار الحضارة والدولة، وكل من هذه الأدوار يفضي إلى الانحدار والكارثة، وحتى تطور كل هذه الحضارات يحمل انهياره، لأن التضامن الاجتماعي، وهو قاعدة الدولة يكون قد تدمر بواسطة الترف الذي يفسد المواطنين، وإنما يكون التطور التاريخي محدد بعوامل نفسية. إن هذه الفلسفة إذاً هي فلسفة قدرية بصورة خاصة، وتشاؤمية. أما المفهوم الدوري للعودة الأبدية التي يفرضها، فهو يتعارض مع تطور الفكر التاريخي الحق، فإذا ما أتيح لفلسفة التاريخ أن تنبثق عن مؤلف ابن خلدون فلهذا لا يكون له معنى شامل.

إن نظريات ابن خلدون ليس لها معنى شامل، ولا قيمة أبدية، لقد أشار المؤرخ بوضوح إلى الفوارق القائمة بين المغرب وبين بلدان الشرق الأوسط، وأوضح أن العصبية، وهي المفهوم الأساسي، لا تطبع بشكل جوهري إلا إفريقيا الشمالية بنوع خاص، ولكنه بيّن أيضاً أن العصبية ليست ظاهرة أبدية، فهذه البنية الاجتماعية السياسية بالنسبة له قد تواجدت سابقاً في الشرق، إلا أنها زالت في القرن الرابع عشر الميلادي، ومن حديثه عن الدولة نلاحظ أنه يعلق أن كل الدول قد انحدرت، وستنحدر في المستقبل، لكنه لا يحدد بأن الأسباب وكيفيات انحدارها ستكون ذات الأسباب والكيفيات التي أدت إلى انهيار الممالك المغربية.

إذاً، نظريته لا تشكل نظرة ميتافيزيقية مصممة مسبقاً، ومنطبقة على التاريخ الشامل، فهي تنبثق عن المراقبة الحكيمة لظروف المغرب فيما بين القرن التاسع والرابع عشر الميلادي، وهي ليست فلسفة للتاريخ بمقدار ما هي تأليف تاريخي لأحداث طرأت على بلد معين في عصر معين".

أما **جانجي موريس** ففي مقالة له في **مجلة المعرفة** تحمل عنوان "**مقدمة في معنى التاريخ**"، يرى أن " رؤية ابن خلدون العلمية في فهم التاريخ هي عرض لحوادث سياسية أو عسكرية متعاقبة، أو تتابع لسير ملوك وأصحاب جاه وسلطان، و هي أيضا بيان لتطور الشعوب العقلي والمادي"

أما **بوتولد أشبولر**، ذكر " أن التاريخ هو علم له موضوع ومنهج خاص، وتحكمه قوانين ثابتة، ويعد في مقدمة من طبقوا ذلك على علم العمران البشري أو علم الاجتماع ابن خلدون"

وكتب **الدكتور ساطع الحصري** في كتابه "**دراسات في مقدمة ابن خلدون**" أن "نظرية ابن خلدون في تفسير التاريخ هي بمثابة خط واصل بين نظرية أرسطو القديمة، ونظرية هوبز، وقد اعتبر ابن خلدون أن الاجتماع أو العمران الطبيعي في البشر مثل العدوان فيهم، فربط فكرة الدولة والملك، والوازع أو الحاكم بمبدأ العمران من جهة، ومبدأ العدوان من جهة ثانية، فهذا الذي يولد الحكم والملك بوجه عام، والدولة بوجه خاص، ولقد ميّز ابن خلدون بين حكم البدو، وبين حكم الحضر، فوجد أن حكم البدو أشجع، لكن سلطته مستمرة"

أما الدكتور **علي أومليل** في مقالة له في **مجلة الفكر العربي** عنوانها "**مصادر التنظير عند ابن خلدون**" يقول "لاعتبارات لا مجال للتفصيل فيها هنا، سأعتبر ابن خلدون أساساً مؤرخا، ألف تاريخاً، وأقام نظرية في التاريخ. لكن حين كتب المقدمة كان منظراً للتاريخ لا نجد له مثيلاً بين المؤرخين، ولكنه حين كتب تاريخه فقط، فقد كتبه كما فعل غيره من المؤرخين الذين انتقدهم هو نفسه، وتكون النتيجة أن ابن خلدون المبدع إنما هو صاحب المقدمة لا صاحب التاريخ، فنظريته في التاريخ تميل إلى تاريخ معين، هو التاريخ كما كان يعرفه ابن خلدون.

وفي **مجلة المورد العراقية** يبين الدكتور **مطلب مجيد محمود** رفض ابن خلدون للمنهجية السلفية، التي خلقت ركاماً من السرد التاريخي للأحداث، وأخذه بقانون السببية، الذي يعطي للحوادث التاريخية عللها الحقيقية والواقعية. وقد وجه نقداً لفكر ابن خلدون الاجتماعي المتعلق بمجتمع البدو والحضر في مقدمته المشهورة، وأكثر من إبراز جوانبه الإيجابية وفضله على الدراسات الاجتماعية.

ولعل أجمل ما كُتب في تقييم نظرية ابن خلدون في تفسيره للتاريخ، هو ما كتبه المؤرخ **إيف لاكوست**، **وعلي أومليل**، اللذان كان لهما وجهة نظر ثاقبة ومتبصرة في دراسة المقدمة بكل أبعادها التاريخية.

لقد استطاع أن يعطينا تفسيراً تاريخياً من خلال تأثيرات عصره, ومن خلال ثقافته التي تدل على عمق فكري واسع، صحيح أنه لم يبرهن على كل ما طرحه، لكنه بحق مؤرخ الحضارة العربية الإسلامية في القرن الرابع عشر الميلادي، ونظريته جد هامة في وقتنا الحاضر، كونها تساعدنا في حل مشكلاتنا المعاصرة.

الخاتمة:

إن تفسير ابن خلدون للتاريخ في إطار علم العمران البشري، لا يدخله في عداد مؤسسي فلسفة التاريخ فحسب، بل يدخله في عداد مؤسسي علم الاجتماع، وعلم الأنتربولوجيا الحضاري. لقد لفتت مقدمته أنظار العلماء العرب والأوروبيين. فصاحب المقدمة الذي عاش في القرن الرابع عشر الميلادي قد سبق غيره من العلماء إلى وضع حجر الأساس في فلسفة التاريخ، وتفسير التاريخ بوصفه علماً، فهو الرائد وهم التابعون، ولا يعاب عليه أنه لم يستطع أن يستوفي جميع مسائل هذا العلم، وأنه لم ينوه بموضوعه ومنهجه إلا على سبيل الإجمال، لكنه كان يرجو أن يأتي من بعده علماء يواصلون أبحاثه، فلم تتحقق آماله إلى على أيدي الأوروبيين. ومع ذلك فإن مقدمته أثّرت في عقول ساسة الشرق تأثيراً عميقاً، ولو لم يدخل العالم العربي بعد عصر ابن خلدون في سبات عميق لاتجهت الفلسفة العربية بتأثيره اتجاهاً وضعياً جديداً بعيداً عن النظريات الغيبية التي سيطرت عليها خلال العصور السابقة.

الهوامش حسب ترتيبها في البحث

قائمة المراجع:

1- مغربي عبد الغني (1988)، **الفكر الاجتماعي عند إبن خلدون**،المؤسسة الوطنية للكتاب،الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية.

2- رفيق العجم (2000) ،**موسوعة مصطلحات علم التاريخ العربي والإسلامي**،بيروت: مكتبة لبنان

3- عرابي عبد القادر(2004)، **قراءة سوسيولوجية في منهجية إبن خلدون**، بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية.

4- الموقع الالكتروني : **https://diae.net/4153**

5- الحشر الآية 02

6- الأعراف الآية 185